تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدُ اللهَ على نِعَمه التي جلَّت مواقِعُ دِيَمِها، وعمَّت فوائدُ كَرَمِها، وأشكر اللهَ الذي حَكَمَ بالموت على عباده؛ إظهاراً لبدائع قُدْرَتِه وحِكَمِها.

وأشـــهد أن لا إله إلا الله وحده لا شـــريك له، شـــهادةً يَقْتَرِنُ بالخُلُـــود ذِكْرُها، ويتجـــدَّدُ في كلِّ يـــومٍ فخْرُها، ويَنْسَـــدِلُ على هفوات الإنسان سِتْرُها. وأشهد أن سيِّدَنًا محمداً عبدُه ورسولُه، الذي قلَّدَ بدُرَرِ محاسِنه الأعناق، وبَعَثَهُ على حين فَتْرَةٍ من الرسل مُتَمِّماً لمكارم الأخلاق، وجعل شـــمس شَـــرِيعَتِهِ الغـــراء دائمةَ الإشـــراق، صلى الله عليه وعلى آله وصحبـــه الذين جمَّلوا بذِكْرِ محاسِنِهِمُ السِّـــيَر، وذهَّبُوا بوصفِ مفاخِرِهم الآصالَ والبُكَر، ما دَوَّنَتِ الأقلامُ ذكرَ الأفاضل، وجلَت الكتبُ على أسماع الأواخرِ ذِكْرَ الأوائل، وسلَّم.

وبعدُ: فهذه ترجمةٌ لشـــيخي الوالدِ العالِم الجليل مُفْتِي بلاد

السِّند وفخرِها العلَّامَةِ أبي الفَضْل عبدالرحيم السِّكندري ـ رحمه الله تعالى ورضي عنه ـ، ستُنْشَــرُ مع ثَبَت شيخ مشايخنا المحدِّث عبدالحـق الدَّهْلَوي الهنـدي (ت ١٠٥٧هــ) المُسَـمَّى بـ«**ذِكْرُ إِجَـازَاتِ الْحَدِيثِ فِي الْقَدِيـمِ وَالْحَدِيثِ**»، وهو ثَبَتٌ مُهِمٌّ يُنْشَـرُ لأوَّلِ مرَّة عن نُسَخٍ نادرة.

وقد كنت سـلَّمْتُ الثَّبَتَ المُحَقَّقَ إلى الدار منذُ مدَّةٍ طويلة ـ كما يَظْهَرُ من تأريخ التقديم ـ، وتأخَّر صدورُه لأسـبابٍ يعلمها الله تعالـى، وكان شـيخُنا الوالـد ـ رحمه الله تعالـى ـ هو الذي شـجَّعني على تحقيقه وإخراجه منـذُ أن كان المخطوطُ مفقوداً من سنة ٢٠٠٨م، واستمرَّ تشجيعُه وسؤالُه عنه حتى وَقَفْتُ على مخطوطاتِ الكتاب منذُ عهدٍ قريبٍ، فعكفتُ على تحقيقه تحتَ إشرافه ومراجعته، حتى انتهى إلى هذه الصورة اللائقة، والحمدُ لله أوَّلاً وآخِـراً. وكان والـدي ينتظرُ صدورَهُ، ويسـألُنِي عنه كلَّ حينٍ، حتى التحق برفيق الأعلى في ١١ من رجب المُرَجَّب سنة ١٤٣٩هـ، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

لذلـك طلبتُ من الفاضل النبيل المحِـبِّ الأديب الدكتور/ إياد أحمد الغوج أن يَصْبِرَ بضعةَ أيامٍ حتى أَفْرُغَ من ترجمةِ سَيِّدِي الشـيخِ الوالِدِ، الذي بسَـندِه وطريقِه اتَّصَلْنَا بثَبَتِ شـيخ مشايخِنا

العلامةِ عبدالحقِّ الدَّهْلَوِيِّ، ومؤلفاته الأخرى؛ فوافق وأخَّرَ طباعة الثَّبَت؛ حتى يتسـنَّى لي أن أُلْحِقَ رسالةً موجَزَةً في ترجمة سَيِّدِي الوالدِ العلَّامةِ المفتي عبدالرحيم السِّكَنْدَرِيِّ، رحمه الله تعالى.

وجـزى اللهُ خيراً أخانا الدكتور/ إيـاد أحمد الغوج، وبارك فيه على جُهْدِه في نشر العلم والمعرفة.

وقد كَثُرَت دواعي تأليف هذه الرسالة بَعْدَ وفاة شيخنا الوالد ـ رحمه الله تعالى ـ؛ ومن أهمِّها:

١ ـ أنَّ اللهَ تعالـى قد أمرنا بالإحسـانِ إلـى الوالدين، وحثَّنَا على بِرِّهما؛ وهذه الترجمةُ تدخل في بابِ البر والإحسان إليهما، خاصَّةً إذا كان الأبُ من العلماء؛ فلزامٌ على الابن أن يُحَافِظَ على تراث أبيه، وينشرَ آثارَه.

٢ ـ مـا لهذه الترجمـةِ من صلةٍ قويَّةٍ بثَبَتِ الشـيخ المُحَدِّث عبدالحقِّ الدَّهْلَوي؛ فينبغي أنْ يُحْتَفَظَ بهذا الثَّبَت، وتزيدُ الحاجةُ إليه وتتجدَّدُ مع كثرة عدد الذين اتَّصَلَ سـندُهم بهذا الكتاب عن طريق شيخِنا الوالد، وانتمائهم إلى بُلْدَانٍ شَتَّى؛ فكلُّ مَنْ يَحْصُلُ على نسخة هذا الثَّبَت، سيطَّلِعُ على ترجمةِ مُجيزِه ويعرف أخبارَه وآثارَه ـ رحمه الله ـ.

٣ـ لا شكَّ أنَّ دراسة تراجم العلماء الأعلام والأئمة الكرام، في زمنٍ عزَّ فيه العلماء العاملون، تُعوِّض شيئاً من النقص، وتَجبُرُ شيئاً من هذا الفقر. كان الشيخ ـ رحمه الله ـ نموذجاً فريداً من العلماء العاملين.

٤ـ أن هذه الرسالة ما أُلِّفَتْ لمجرد المدح أو الإطراء لشخصه رحمه الله، أو لأنه تربطني به صِلَةُ البُنُوَّة وحسب؛ بل لِيَقْرَأَ سِيرَتَهُ مَن لم يُعايِنْ صورَتَهُ، ويشاهدَ محاسِنَهُ مَنْ لم يعاصِرْه، فيَعرِفَ منصبَه ومرتبَتَه، فيَجِدَّ في الطلب؛ ليَلْحَقَ بأمثالهم، ويتمسَّكَ بهديهم.

ومع هذا فالرسالةُ لا تخلو من مظاهر حبِّ الابن لأبيه والوَلَهِ بذكْرِه، ولكنِّي حاولتُ ـ قَدْرَ المستطاع ـ أن أبتعد عن المبالغةِ والإطراء، ووصفتُ الواقِعَ من حياة والدي، واجتنبتُ التكلُّفَ في تضخيم الأحداث العادية لإضفاء الغَرابة عليها. ولولا أنَّهُ والدي لأطنبتُ في ذكره، وعُدَّ ذلك من المبالغة عند مَنْ لم يَطَّلِعْ على حياته، ووفَّيْتُهُ منَ الوصف حقَّ قَدْرِه، ولكن كَفَاهُ ما أُثْبِتُهُ له في هذه الترجمة، وما سيمرُّ بالقارئ في هذه الرسالة.

واشتملت هذه الترجمةُ على مقدِّمة، وعدة فصول، ثم خاتمة.

المقدمة: وفيها بينتُ موضوعَ هذه الرسالة، ودواعيَ تأليفها، وأهميَّتَها، وتسمِيَتَها، وفصولَها.

أما فصولُها، فجاءت على النَّسَق الآتي:

الفصل الأول: اسمُه ونسبُه ومولِدُه.

الفصل الثاني: نشأتُه وأسرتُه.

الفصل الثالث: طلبُه للعلم وشُيُوخُه.

الفصل الرابع: تلامِيذُه.

الفصل الخامس: أسانيدُه في الكُتُب الستَّة، وسائرِ العلوم الشرعيَّة.

الفصل السادس: آثارُه العلمية.

الفصل السابع: مكانتُه العلمية، وثناءُ العلماءِ عليه.

الفصل الثامن: مَكْتَبَتُهُ وحُبُّه للكُتُب.

الفصل التاسع: حياتُه الخاصة.

الفصل العاشر: صِفَاتُه ومناقِبُه.

الفصل الحادي عشر: وفاتُه.

أما الخاتمةُ: ففيها تلخيصٌ لما سبق، وتوصيةٌ لأبنائه وتلاميذه.

وقد سَمَّيْتُ هذه الترجمةَ بـ«إتحافُ السَّرِيّ بترجمةِ العلَّامَةِ المفتي عبدالرحيم السِّكَنْدَرِيّ ـ رحمه الله ـ»، وأسألُ الله تبارك وتعالى أن يتقبَّلَ خدمتي وجُهْدي الذي هو جُهْدُ المُقِلِّ، ويجعلَهُما في ميزان حسناتي، إنه سميعٌ قريبٌ مجيبُ الدعوات.

وصلى الله على سَيِّدِنَا ومولانا محمَّدٍ وآلِهِ وصَحْبِه أَجْمَعِين.

كتبه أبو البركات حقُّ النبي السِّكَنْدَرِيُّ الأزهري
رئيس دار العلوم صِبْغَة الهُدَى،
شاهفور جاكر، السند، باكستان
١ من رمضان المبارك سنة ١٤٣٩هـ.

الفصل الأول
اسمُه ونسبُه ومولِدُه

اسمه ونسبه:

هو العالِـمُ العلَّامة، الفقيهُ الأعظم، مُفْتِي السِّـنْد، الشيخُ أبو الفَضْـل عبدُ الرَّحِيم بـن مِحْراب خان بن قـادر داد[١] بن مولى بَخْش[٢]، السِّـنْديُّ موطناً، الحنفيُّ مذهبـاً، الـمَاتُرِيدِيُّ مُعْتَقَداً، القادريُّ طريقةً، المشـهورُ بالسِّكَنْدَرِي؛ نسبةً إلى شَيْخِه سِكَنْدَر علي.

ولادتُه:

وُلِدَ ـ رحمه الله تعالى ـ وقتَ أذان الفجر، في قرية «سِـيبانُو خـان»، التابعة لمركز خير فور من إقليم السِّـنْد، يـوم الجُمُعة،

---

(١) (داد) كلمة فارسية معناها: عطاء، فهو عطاء القادر.

(٢) (بخش) كَلِمَةٌ فارسية معناها أيضاً: العطاء، فهو عطاء المولى.

في الســابع والعشرينَ من شهر رمضان المعظَّم، سنةَ ١٣٦٣هـ، الموافِق الرابع عشر من شهر سبتمبر سنة ١٩٤٤م[١].

كُنْيَتُهُ، ورؤيا عَجِيبة:

مِنَ المعلوم لدى العلماء أنه يُسْتَحَبُّ تَكْنِيَةُ أهلِ الفَضْلِ من الرجال والنساء، سواءٌ أكان له ولدٌ أم لم يكن. وقد تكنَّى الشيخُ العلامــة عبدالرحيم السِّــكَنْدري بـ«أبي الفضل»، واشْــتُهِرَ بهذه الكُنْيَة.

وكنــتُ أشــتاقُ أنْ أَعْـرِفَ مَنِ الـذي كنَّاه بهـذه الكنية مِنْ مشــايخه؛ فســألتُه يوماً عن ذلك، فَقَدَّمَ إليَّ أَجِنْدَتَــه (مُذَكِّراتِه)، وطالعتُها وفرحتُ بما كَتَبُهُ، وهو الآتي:

(١٤ فبراير من السنة ١٩٧٠م) فَكَّرْتُ كثيراً أنْ أختار لنفسي من الكُنْيَةِ ما تَناسَــبَ، فوقع اختياري على أنْ أستشــيرَ شَــيْخِيَ العلَّامة تقدُّس علي خان الهندي الحنفي، وقررتُ أنْ أســأَلَهُ في أوَّلِ لقــاءٍ معه، فنمتُ تلكَ الليلة في المدرســة (صِبْغَة الهُدَى)،

(١) قد كُتِبَ ونُشِرَ عن تاريخ مَوْلِده غيرُ ذلك فَلْيُصَحَّحْ، ولا يُعْتَمَدْ على غير ما كُتِبَ في هذه الرسالة.

وأتاني آتٍ في الرؤيا وقال: كُنْيَتُك أبو الفضل لا غير، فأكتب بعد اليوم كُنْيَتي «أبو الفضل» إن شاء اللهُ تعالى. انتهى.

فكنيةُ الشيخ كانت هِبَةً وهَدِيَّة ربانية، لا اختياراً شخصيّاً؛ ذلك فضل الله يُؤْتِيهِ من يَشَاءُ والله ذو الفضل العظيم.

❋ ❋ ❋

الفصل الثاني
نشأته وأسرته

نشــأ الشــيخ العلَّامة عبد الرحيم السِّــكَنْدَري في بيت عِلْمٍ وصلاحٍ وفِقْه؛ فعائلتُه في بلاد السِّند مَشْهُورَةٌ بالعِلْمِ والصلاح.

كان والِدُه الشيخُ محراب خان معروفاً بالعلم والزهد، وكان عــادلاً حازماً، صاحِبَ عَقْلٍ ورزانة، لم ينهض من تلك الأســرة أحدٌ مثلُــه في العقل والتدبير. وكان مَشْــكُورَ الســيرة في فَصْلِ القضايا والمهِمَّات. وكذلك جَدُّه الشــيخ قادر داد خان كان من الصُّلَحَاء المعروفين بين العلماء والمشايخ.

وكان والدُ جدِّه الشيخ مولا بخش ـ عميد الأسرة ـ مشهوراً بالصدق والأمانة، مــع متانة الدِّيانة، وكَثْرَة التَّعَبُّد، والمحاســن الجمَّة، قلَّ أَن ترى العُيونُ في الناسِ مثلَه!

فأســرة الشــيخ العلامــة عبدالرحيــم السِّــكَنْدَري معروفةٌ ومشــهورةٌ بين العوامِّ والخــواصِّ بالعلم والصــلاح، وتُعَدُّ من

الأُسَر التي تَحْظَى بمكانةٍ مرموقةٍ في بلادها، ورُزِقَت حظّاً وافراً من الوجاهةِ، وحُسْن القبول والكلمة النافذة في الأمور الدنيوية، والمسائل الشرعية.



الفصل الثالث
طلبه للعلم وشيوخه

بدأ سيدي الوالد العلامة عبدالرحيم السِّكَنْدري السِّنْدِي فـي طلب العلم في قريـة «مولابخش» ـ قرية منسوبة إلى والدِ جدِّه الشيخ مولابخش ـ، حيثُ تلقَّى بها مبادئ اللغة السِّندية والفارسية، وأتمَّ المرحلة الابتدائية سنة ١٩٥٤م.

ومن أساتذته في تلك المرحلة: الأستاذ الحاج لعل بخش خان خاصخيلي، الحاج مير محمد، ربذنو شيخ، الأستاذ غلام علي كُبَرْ، الأستاذ جمال الدين، ووالده الشيخ الحاج محراب خان ـ رحمهم الله أجمعين ـ.

وقد أتمَّ في تلك السنوات أيضاً قراءةَ القرآنِ الكريم على يدِ الشيخ الصالح الحافظِ قادر بخش الفنجابي ـ رحمه الله ـ.

ثم ارتحل لطلب العلم إلى الخانقاه الراشدية بمدينة (بيركوت)، بتشجيعٍ من جَدِّه الشيخ قادر داد خان ـ رحمه الله ـ،

فتتلمذ على علماءِ عصـره في مختلف العلوم الشـرعية واللُّغوية، وقد كان لهذه المشيخة الأثرُ الكبيرُ في نبوغه فيها، وبالخصوص في عُلوم الفقه والحديث، وعلوم الآلةِ، وسـوف نذكر فيما يأتي أشهرَ مَنْ تَلَقَّى عنهم ولازمهم، وتخرج على أيديهم، من العلماء والشُّيوخ في ذلك العصر.

ولْيُعْلَـمْ أنـه كانـت بداية التحاقه بالجامعة الراشـدية سـنة ١٩٥٧م، فَلَزِمَهَا ولم يَخْرُج منها إلى مكانٍ غيرها حتى التخرج.

شيوخه:

١ـ الفقيـه الأعظم، العلَّامـة الأصولي، المُحَقِّـق المُدَقِّق، مفتي باكسـتان الأعظم محمد صاحبداد خان بن خميسـو خان الجمالي، السِّنْدي، الحَنَفِيُّ (١٣١٦-١٣٨٥).

٢ـ العالم الجليل الشيخ العلامة عبد الصمد بن عبد الله ميتلو[١] السِّنْدي، النقشبندي، الحنفي (ولد ١٣٣٧ تقريباً ـ ١٣٩٣).

٣ـ الشـيخ الصالح المجاهد، الأديب الأريب أستاذ العلماء

---

(١) (ميتلو) اسم قبيلة سِنْدِيَّة، تقطُن نواحي مدينة (لاركانه).

محمـد صالـح ابن مِياً جـي[١] مصـري[٢] السِّـنْدي، القادري، الحنفي (١٣٣١-١٣٩٦).

٤ـ الفقيه المُسْنِد، شيخ الحديث، العلامة تقدّس على خان ابن سـردار ولي خـان القادري البريلوي، ثم السِّـنْدي، الحنفي (١٣٢٥-١٤٠٨).

٥ـ والشـيخ العلامة كريم بَخْش بـن الله دِنُو[٣] بن كريم دِنُو السِّنْدي، النَّقْشَبَنْدِيُّ، الحنفيُّ (١٩٨٨=١٤٠٨).

٦ـ جامِـع المعقـول والمنقـول؛ العلَّامة المعقولي السـيد الشريف حسين إمام أختر[٤] السِّنْدِيُّ، الحنفيُّ، النقشبنديُّ.

هؤلاء مشايخُه في التخرج، وقد لازمهم الشيخُ مُدَّةً مديدة، وتخـرَّجَ علـى أيديهـم، وحصل علـى إجـازة (إذن) التدريس والفتوى منهم يوم الجُمُعة السـابع والعشـرين من شـهر رجب سـنة ١٣٨٦هـ، الموافق الحادي عشر من نوفمبر سنة ١٩٦٦م،

---

(١) (مياً جي): لَقَب يُطْلَقُ في بلاد السِّنْد على الأسر العلمية، ومعناه: السيد، أو الشيخ، وأحياناً يقولون: (مِياً) فقط.

(٢) (مصري) بلغة السِّنْد معناها: السكر.

(٣) (دنو) بلغة السِّنْدِيَّة معناها: عطاء، فهو عطاء الله تعالى.

(٤) (أختر) كلمة فارسية معناها: النجم.

وعُمِّم ـ حسب طريقِ مشايخ بلاد الهند والسِّند ـ في جمٍّ غفير من مشايخ باكستان.

❊ ❊ ❊

الفصل الرابع
تلامِيذُه

كان سيدي الشيخ العلامة عبدالرحيم السِّكَنْدري السندي مشغولاً بالتدريس طوال حياته ـ مع كثرة أسفاره ـ، وكان قد اقتصر في آخر حياته على تدريس «الصحيحين» مع بحث وتدقيق.

وقد انتفع به خلقٌ كثيرٌ في فنون عديدة، وكَثُرَ عددُ تلامذته الذين انتشروا في البلاد، وأكثرُ مَنِ استفاد منه ونَهَلَ من علومه وتأثَّر بشخصيته هم إخوانه وأبناؤه، كلٌّ منهم تخصَّصَ في جانبٍ واشْتُهِرَ به.

وقد نفع الله بشيخِنا الوالدِ ـ رحمه الله تعالى ـ خلقاً كثيراً، وخَرَّجَ على يده جمعاً من العلماء والمشايخ، ونبغت بتربيته جماعةٌ من أهل التربية والإرشاد، وأَجْرَى الله على أيديهمُ الخيرَ الكثيرَ في السِّندِ خصوصاً، وغيرها بوجهٍ عامٍّ، في نشر العلوم الدينية، وتصحيح العقائد، وتربية النفوس، والدعوة والإصلاح.

ونظراً لتعدد المواد العلمية التي كان يُدَرِّسُها الشيخ ـ رحمه الله ـ تعدَّدَت اتجاهاتُ تلامِذَتِه، وتنوَّعَت مجالاتُ نبوغهم؛ فكما نَبَغَ منهمُ المُسْنِدُون والفقهاء والأصوليون، نبغ منهم المؤرخون واللغويون، وفيما يأتي بعضٌ من تلامذته:

١ ـ أخوه الشقيق العالِم الجليل الأستاذ الدكتور الفقيه الشيخ/ مولابخش السِّكَنْدري.

٢ ـ أخوه الشقيق الأستاذ الدكتور/ نذر حسين السِّكَنْدري، مُتَخَصِّصٌ في التصوف والتربية.

٣ ـ ابنه الشيخ الفقيه نور النبي السِّكَنْدري، مُتَخَصِّصٌ في الفقه وعُلُوم الآلة.

٤ ـ هذا العبد الفقير (الدكتور/ أبو البركات حقُّ النبي السِّكَنْدَري السِّندي).

وغير ذلك من الفضلاء؛ منهم: الدكتور محمد يوسف السِّكَنْدري، والشيخ إمداد علي السِّكَنْدَري، والشيخ شاه محمد السِّكَنْدَري، والشيخ غُلام علي السِّكَنْدَري، والشيخ عثمان خان النوري (عضو البرلمان سابقاً) وغيرهم.

الفصل الخامس
أسانيدُه في الكتب السِّتَّة وسائر العلوم الشرعية

كان سَيِّدِي الوالِد يعتمد على سندِ شيخِه الفقيهِ الأَفْخَمِ العالم الجليل المُفْتِي محمد صاحبداد خان الجمالي السِّندي في سائر العلوم الشرعية؛ وذلك حسب الوصية التي تَلَقَّاها من شيخ مشايخهم محدِّث الهند بلا مُنازِع، وأستاذ الأساتذة العلَّامة المحدِّث عبدالحق الدَّهْلَوِي (١٠٥٧هـ)، والتي يقول فيها: واعلم أنَّه قد وصَّاني شيخي ومولاي وملاذي وملجَئِي سيدي الشيخ عبد الوهاب المُتَّقي المكيُّ ـ نَفَعَنَا اللهُ ببركاته وبركاتِ علومه، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ـ بأنَّه ينبغي للمُحَدِّث أنْ يختارَ لِنَفْسِه مِنَ الأسانيد التي حصلت له من المشايخ سنداً واحداً ويحفظه؛ لِيَتَّصِلَ به إلى سَيِّدِ المرسلين، وسَنَد الأولين والآخرين ـ ﷺ ـ، وتعود بركتُه إلى حاله في الدنيا والدين؛ فاخترتُ لوصية الشيخ سَنَداً مِنْ طريق الإمام البخاريِّ، وآخَرَ مِنَ الإمامِ مُسْلم، واكتفيتُ بهما؛ ففيهما البَرَكةُ والخير باليقين. انتهى.

سلسلة سند العلامة المفتي عبد الرحيم السكندري رحمه الله إلى الشيخ المحقق المحدث عبدالحق الدهلوي

يروي شـيخنا العلامة الفقيه المفتي عبد الرحيم السكندري كتـب الحديث الشـريف وغيرها عـن مفتي باكسـتان الأعظم محمـد صاحبداد خان بن خميسـو خان الجمالـي، عن محمد قاسـم بن محمد هاشم الكرهي ياسيني، عن والده محمد هاشم الكرهي ياسـيني، عن نور محمد بن مِيًا غـلام محمد الفاروقي الشهدادكوتي، عن الخليفة محمد يعقوب الهمايوني، عن أستاذ الكل عبد الحليم الكَنْدَوِي، السِّنْدي الحنفي، عن السيد الشريف محمد عاقل، عن المخدوم نور محمد؛ المشهور بمحدِّث محمد العَارِيجَوِي، عن قُل أحمد، عن أبيه عبد الله اللبيب بن عبد الحكيم السِـيَالْكُوتي، عـن والده العلامة عبد الحكيم بن شـمس الدين السِّيَالْكُوتي، عن محدِّث الهند عبد الحق بن سيف الله الدِّهْلَوي.

وقال[١]:

---

(١) أي: الشيخ عبدالحق الدهلوي.

سند صحيح البخاري

حَدَّثَنا الشيخ الوليّ الـمُقْتَدى عبد الوهاب بن وليّ الله المتقي الحنفي، قال: حَدَّثَنا شيخُنا الإمام العالـم العارف بالله علي بن حسام الدِّين الـمُتَّقي، قال: حَدَّثَنا الشيخ الإمام الحافظ العارف بالله أبو الحسن محمد بن محمد بن عبد الرحمن القُرَشيّ التَّيميّ البَكْريّ، قال: حَدَّثَنا الشيخ الإمام الحجَّة زكريا الأنصاريّ، قال: أخبرنا الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني.

(ح) وحَدَّثَنا الشيخ الإمام عبد الوهاب الـمُتَّقيّ، قال: حَدَّثَنا الشيخ الإمام الـمُسْنِد عليّ بن أحمد الجناني الأزهريّ الشافعيّ، قال: حَدَّثَنا شيخ الإسلام عبد الرحمن جلال الدين الأسيوطي، قال[1]: حَدَّثَنا الشيخ الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني المصري، قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن سُلَيمان النَّيسابُوريّ الـمَكيّ، قال: أخبرنا العلامة رضيّ الدِّين أبو أحمد إبراهيم بن محمد الطَّبَريّ، قال: أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن ابن أبي حَرَميّ، قال: حَدَّثَنا أبو الحسن علي بن حُمَيد بن عمار الطَّرابلسيّ، قال: حَدَّثَنا أبو مكتوم عيسى ابن الحافظ أبي ذر عن أبيه، قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الحموي السَّرخسي،

---

(١) رواية السيوطي عن ابن حجر بالعامة إن لم تكن خاصة، فتنبه.

قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مَطَر الفَرَبْري، قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، قال: حَدَّثَنا المكي بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة بن الأكوع، قال: سمعتُ رسولَ الله ـ ﷺ ـ يقول: «**مَنْ يَقُلْ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**».

سند «صحيح مسلم»

قال العبد المِسْكين عبد الحق بن سيف الدين: حَدَّثَنا شيخنا عبد الوهاب المُتَّقي، قال: حَدَّثَنا شيخُنا علي المُتَّقي، عن الشيخ أبي الحسن البَكْري، عن شيخ الإسلام يحي بن زكريا الأنصاري، قال: حَدَّثَنا شيخنا ختم المحدثين الحافظ الإمام الحجة شهاب الدين أحمد ابن حجر العسقلاني ثم المصري.

(ح) حَدَّثَنا الشيخ عبد الوهاب المتقي، قال: حَدَّثَنا الشيخ علي بن أحمد الجناني الأزهري، قال: حَدَّثَنا الشيخ الإمام أحمد القسطلاني[1]، عن الحافظ ابن حجر، أنا أبو محمد عبد الله بن محمد النَّيسابوريّ، أنا أبو الفضل سُلَيمان بن حمزة المَقْدسيّ، أنا أبو الحسن علي بن الحسن ابن المُقَيَّر، أنا الحافظ أبو الفَضْل

(١) هو صاحب المواهب اللدنية.

محمد بن ناصر السلامي، أنا الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن مَنْده، أنا الحافظ أبو بكر[١] محمد بن عبد الله بن محمد بن الجوزقي، أنا أبو الحسن المكي بن عبدان النَّيسابوريّ، أنا الشيخ الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج النَّيسابوريّ، ثنا محمد بن مثنى وابن بشار قالا: ثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة، قال:سمعتُ قتادة يحدث عن أنس، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ طَعْمَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ يُحِبُّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله، وَمَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ كَانَ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجِعَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ».

وللشيخ المحقق المحدث عبدالحق الدهلوي إجازات كثيرة من عدة مشايخ أجلاء، لكنه كان يذكر هذا السند ويعتمد عليه. وله إجازات وطرق أخرى ـ ذكرها في ثبته المسمى بـ«ذكر إجازات الحديث في القديم والحديث»[٢] ـ ومن مشايخه أيضا هؤلاء الأعلام:

---

(١) في (ج): ابن أبي بكر.

(٢) من رام التفصيل والاطلاع على باقي الإجازات والأسانيد فليطلع على ذلك الثبت،صدر في دارالفتح الأردن على نسخ نفيسة،بتحقيق هذا العبد الفقير سنة ٢٠١٧م.

١ـ الشيخ محمد البنوفري المالكي المصري (ت ٩٩٨هـ).

٢ـ الشيخ وجيه الدين العَلَوي الكُجْراتي (ت ٩٩٨هـ).

٣ـ الشيخ علي بن عسى البجلي القادري (ت ٩٩٩هـ).

٤ـ الشيخ أحمد بن محمد أبو الحرَم المدني (ت ١٠٠١هـ).

٥ـ الشيخ محمد البَهْنَسي (ت ١٠٠١هـ).

٦ـ الشيخ موسى ابن الشيخ حامد الأُجِّي الكيلاني القادري (ت١٠٠١هـ).

٧ـ الشـيخ حَمِيدُ الدين ابن القاضي عبدالله السِّنْدي المكي (ت١٠٠٩هـ).

٨ـ القاضـي علي بن جـار الله القرشـي المخزومي المكي (ت١٠١٠هـ).

٩ـ الشيخ زين العابدين بن محمد البكري (ت١٠١٣ هـ).

١٠ـ الشيخ جعفر السَّمَرْقَندي المدني.

١١ـ الشيخ حبيب الله الشيرازي ثم البغدادي المصري.

١٢ـ الشيخ عبدالوهاب بن فتح الله البروجي.

١٣ـ الشيخ محمد قضاعي المصري.

١٤ـ الشيخ حاجي نَظَرْ البَدَخْشي.رحمهم الله أجمعين.

وأما الطرق الأخرى الشهيرة في بلاد الهند والسِّنْد فتتصل بها أسانيدُه وإجازاته، وهي مُتَشَعِّبَةٌ ومُتَّصِلَةٌ بالمشايخ المشهورين في هذه البلاد؛ ومن أهمها: اتِّصَالُه بمؤسِّس المنهج الدراسي الرائجِ في بلاد الهند الشيخِ الإمام العالِـم الكبير، صاحبِ العلوم والفنون، العالِـم بالرَّبْع المسكون، أُستاذ الأساتذة، الشيخ نظامِ الدين بن قطب الدين بن عبد الحليم الأنصاريِّ السهالويِّ ثم اللكهنوي (ت١١٦١هـ)، الذي تفرَّد بعُلومه، وأخذ لواءَها بيده.

وبالشاه ولي الله الدَّهْلَوي (ت ١١٧٦هـ)، وبشيخ الإسلام محمد هاشم السِّنْدِي الحنفي (ت ١١٧٤هـ)، وبالشيخ المحدِّث محمد عابد السِّنْدِي الأنصاري المَدَنِي (ت ١٢٥٧هـ)، وبالشيخ الإمام الفقيه أحمد رضا خان الهندي الحنفي، وغيرهم من الأعلام ـ رحمهم الله أَجْمَعِينَ ـ.

❁ ❁ ❁

الفصل السادس
آثاره العلمية

تُعَدُّ حياة والدي الشيخ العلَّامة المفتي عبدالرحيم السِّكَنْدَري سلسلةً من الكفاح والسعي الدؤُوب في نشر العلم، والانْكِباب على الدرس والتحصيل، فقد جدَّ واجتهد، حتى أصبح من الأعلام الذين سجَّلُوا صفحاتٍ مُشْرِقَةً في تاريخ الإسلام والمسلمين، ويظهر ذلك من خلال النُّكَت الآتية:

١ ـ تأسيس دار العلوم «صِبْغَة الهُدَى»:

ترك الشيخ أبو الفضل عبدالرحيم السِّكَنْدَري السِّنْدِي مآثِرَ علميَّةً في حياته؛ من أهمها وأفخمها مدرسة دينية تهتمُّ بتدريسِ العلوم الشرعية.

أسَّسها في مدينة شاهفور جاكر، السند، باكستان، سنة سبعٍ وثمانين وثلاث مئة وألف (١٣٨٧هـ)، سمَّاها «صِبْغَة الهُدَى»، وأسَّسَ مجمعاً علميّاً للتأليف والنشر، سمَّاه «مطبوعات صدى

الوطن»[1]، بشاهفور جاكر كذلك.

وقد نجح الشـيخُ في إنشاء هذه الجامعة، وأخذ على عاتقه إعـداد مناهجهـا، وتوفيـر ما يحتاجـه طلبة العلم مـن الكتب، والسَّكَن، والطعامِ، والملبس.

واشْتُهِرَت مدرستُه «صِبْغَة الهدى» بدراسة العلوم الشرعية؛ فقصدها طُلَّابُ العلم من أنحاء باكستان للدراسة فيها.

كان الشـيخ في بداية أمره يتولَّى التدريس بنفسـه، ويدرِّس الكُتُـبَ المتداولة؛ مـنَ النحو، والصرف، والمنْطِـق، والبلاغة، والفلسـفة، والفِقْه، والأصـول، وعُلُوم التفسـير، وعلم الكلام، والحديث وفنونه، وكان يدرِّس من الصباح إلى العشـاء الآخِرَة، ليلاً ونهاراً، حتى تَخَرَّجَتْ على يديه جماعاتٌ من فضلاء تلاميذه، فعاونوه في مهمة التدريس، وساعدوه في أمور التعليم.

تُعْتَبَرُ هذه المدرسـةُ من أهم المدارس في الديار السِّـنْدِيَّة؛ فهي تتميَّز بدراسـتها ومناهجها، خاصَّةً في دراسة الفقه الحنفيِّ وأصوله. ونظراً إلى شـهرة هذه المدرسة ورَئِيسِها، الْتَحَقَتْ بها عـدَّةُ أفرع في مُدُنِ بلاد السِّـند وقُراهـا، وأصبحت تابعةً لها في طريقةِ التعليم والمناهج.

---

(1) SADA E WATAN PUBLICATIONS.

وكان سيدي ـ رحمه الله ـ يتولَّى بنفسِه الاختبارات السنويَّة لتلك المدارس ـ أو يتولَّاها واحدٌ من نُجَباء تلاميذه نِيابةً عنه ـ، ويراقبُ الأمور الدراسية؛ للنهوضِ بمستوى التعليم، وقد نَجَحَ في ذلك نجاحاً مَلْحُوظاً.

جزى الله خيراً شيخَنا الرَّاحل على ما قدَّم للمسلمين من خدماتٍ جليلة، ومنها هذه الجامعة العريقة.

٢ـ بناء مدارس تحفيظ القرآن الكريم:

من أهمِّ المآثر العلمية للشيخ ـ رحمه الله ـ أنه أسَّس كثيرًا من مدارس تحفيظ القرآن الكريم في قرَىً كثيرةٍ، ومناطقَ بعيدةٍ، وكانت هذه المدارسُ تهدفُ بشكلٍ أساسيٍّ إلى تحسينِ قراءة القرآن الكريم، وتعليم ما يُقِيمُ به الناسُ فرائِضَهُم، وواجباتِهم؛ من الصَّلاةِ، والصوم، والزكاة.

وكان الشيخ ينتخب واحداً من عُمَداءِ القرية رئيساً للمدرسة، أو مَنْ يَتَبَرَّعُ لتحمُّل تكاليفها، ويُعَيِّنُ مِنْ تلامذته مَنْ يتولَّى تحفيظَ القرآن، وتعليمَ الناس فرائضَهم وواجباتِهم.

وقد نجحت هذه المدارس في قُرَىً كثيرةٍ، وكان من أهمِّ آثارها أن كثيراً من الناس قَرَأُوا القرآنَ بها رَغْمَ كِبَرِ سنِّهم، وتعلَّمُوا بها

مسائلَ الصلاة والصوم والزكاة، وعَرَفُوا الحلالَ من الحرام، وهَدَى اللهُ تعالى بها أُنَاساً كانوا كالأنعامِ بل هم أَضَلُّ؛ فجدَّدُوا إيمانَهم بالله سبحانه، ووفَّقَهُمُ الله للصيامِ والقِيام، وألزمهم كَلِمَةَ التَّقْوَى.

٣ـ بناء المساجد:

ومنها أنه ـ رحمه الله ـ بَذَلَ الأموالَ الطائلةَ في بناء المساجد؛ فبنى مساجِدَ كثيرةً في أرضِ السِّنْد، خاصَّةً في مناطق الصحراء على حُدُود الهند، بالإضافةِ إلى تعميرِ المساجِد القديمة، وجَعْلِ الرواتبِ للأئمة والمؤذنين، والأرزاق من بُسُطٍ وسُرُجٍ وغير ذلك للمساجد.

بل الأعجب من ذلك أن عددَ مدارس تحفيظ القرآن الكريم والمساجد الشريفة تجاوزَ المئات، لكنَّه ـ رحمه الله ـ لم يَكُن يُحِبُّ أن يُوضَع اسمُه في لوحة الافتتاح ـ كما جرت عادةُ عوامِّ المسلمين وخواصِّهم في باكستان ـ على جُدْران المساجد، أو المدارس.

ومن المُلاحظ في حياة الشيخ ـ رحمه الله ـ أنه فَعَلَ كلَّ هذا اعتماداً على جُهْدِه وتوكُّلِه، ولم يكن لديهِ من المال ما يَكْفِي لكل هذه المشروعات الدينية، ولكنه كان يحثُّ المسلمين على الإنفاقِ على هذه المشاريع تَبَرُّعاً، ولم يقبل في حياته فِلْساً لنفسه؛ بل كلُّ ما كان يأتيه من الأموال كان يُنْفَقُ على تلك المدارس

وعلى هذه المساجد. وكل ما حصَّل ـ من الأموال الكثيرة في حياته ـ أَوْقَفَهُ على طلبة العلم. رحمه الله تعالى ورفع درجاته.

٤ـ مؤلَّفَاتُه:

كان الشيخ الوالد العلَّامة عبدالرحيم السِّكَنْدَري ـ رحمه الله ـ عالماً مُتَبَحِّراً؛ كثيرَ المطالعة، واسع الاطلاع، له قَلَمٌ سيَّال، وسِجِلٌّ حافِلٌ بالتأليف، رغم تعدُّد نشاطاته وكثرتها، فكانت مؤلفاتُه متنوعةَ الأغراض، واسعةَ النطاق، مكتوبةً باللغة السِّنْدِية، وقد انتفع بها جمٌّ غفيرٌ من المسلمين.

ومن ضِمْنِ هذه المؤلفات الكثيرة:

١ـ **تحقيق ودراسة تفسير «هداية الصِّدِّيقِين»**، للشيخ محمد صديق نورنك زاده السِّنْدي، الحنفي (٩٠٥-٩٩٤)، طُبِعَ في مجلدين باللغة السِّنْدية.

٢ـ **«صحبة الصالحين»** في التصوف.

٣ـ **«مجموع الفتاوى»**، ويحوي عشرة آلاف فَتْوى.

٤ـ **«سيف السِّكَنْدَري» و«سدُّ السِّكَنْدَري»**، وهو مؤلَّفٌ حَوَى دفاعاً علميّاً عن عقائد أهل السنة والجماعة، وقضايا التصوف.

٥ـ «**الشيعة**»: مؤلَّفٌ في بيان عقائدهم الفاسدة، والردِّ عليها.

٦ـ «**التحقيق المختار في أفضليَّة صاحب المصطفى بالغار**»: كتابٌ ضَخْمٌ يقعُ في مجلدين، يعملُ على تنسيقه وترتيبه العبدُ الفقير، وهو مؤلَّفٌ يُفْتَخَرُ به، لم يُؤَلَّفْ مثلُه في بلاد السِّند، وقد رتَّبَهُ الشيخ ـ رحمه الله ـ على عدَّةِ أبواب، وظهر فيه نُبُوغُه ومهارتُه في الفقه، والأصول، والسُّنة النبويَّة.

وقد أَلْحَقَ في آخِرِه جُزْءاً يشتمل على أكثرَ من مئة سؤالٍ من أسئلة الشيعة الإمامية المتعلِّقة بعقيدةِ أهل السنة والجماعة؛ فَفَنَّدَها ـ رحمه الله ـ بالأدلة العقلية والنقلية، ولم يُبْقِ مجالاً للمُعْتَرِضِينَ والمشكِّكِينَ.

كان يقول عنها: مَنْ حَفِظَ تلك الأسئلة مع الأجوبة يَسْهُلُ عليه ردُّ مذهب الشيعة، ويقدر على نَقْضِ مَذْهَبِهِم حسب أُصولِهم، ويظهر له أنَّ مذهبهم مُتَنَاقِضٌ وباطل.

٧ـ «**تحفة المؤمنين**»: وهو كتابٌ مُشْتَمِلٌ على مسائل الصلاة، أَلَّفَهُ الشيخُ بأُسْلُوبٍ سَهْلٍ، يُفِيدُ عامَّة المسلمين. وقد اشْتُهِرَ هذا الكتابُ وانْتَشَرَ في بلاد السِّند، وطُبِعَ منه ـ وما زال يُطْبَعُ حتى الآن ـ أكثرُ من مليون نسخة، وقُرِّرَ في المدارس الدينية.

٨ـ «سيف السُّنَّة على عُنُق صاحب البدعة».

٩ـ «قُرَّةُ العَيْنَيْنِ في إثبات إيمان الأَبَوَيْنِ الكَرِيمَيْنِ»[(١)].

١٠ـ «توضِيحُ الإِفك عن مسألة الفدك»[(٢)].

وكل هذه المؤلَّفَات باللغة السِّنْدية.

١١ـ «حاشيةٌ وتعليقٌ مختصَرٌ على صحيح البخاري» باللغة العربيــة، أتمها وتركَ مُسَــوَّدَةً لها قُبَيْلَ وفاتــه، وكان أخبرني عن ترتيب الكتابِ وتهذيبه، حتى أتولَّى أمرَ ذلك وأنشرَه.

* * *

---

(١) أيْ والِدَي النبيِّ ـ ﷺ ـ.

(٢) فــدك: قريةٌ بخيبر، وقيل بناحيــة الحجاز، فيها عين ونخــل، أفاءها الله علــى نبيــه ـ ﷺ ـ، وكان عليٌّ والعبَّــاس ـ عليهما الســلام ـ يتنازعانها، وســلَّمها عمر ـ رضي الله عنه ـ إليهما، فذكر علــيٌّ ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النَّبيَّ ـ ﷺ ـ كان جعلها في حياته لفاطمة ـ رضي الله عنها ـ وولَدِها، وأبى العبَّاسُ ذلك. لسان العرب، فدك.

الفصل السابع
مكانتُه العلمية، وثناءُ العلماء عليه

*** قَـبُولُه وشُهْرَتُه في بلده:**

اشْـتُهِرَ العلامةُ الشـيخ عبدالرحيم السِّـكَنْدِري السِّـنْدِي ـ رحمه الله ـ في بلده شـهرةً عظيمة، وبلغ مبلغاً لم يبلُغْه أحدٌ من المعاصرين، ورُزِقَ قَبُولاً حسـناً لم يُرْزَقْهُ أحدٌ من المشـايخ في عصره.

وكان جميعُ أهل السِّند ـ من أهل السنة والجماعة ـ ينظرون إليه باحترامٍ ويُجِلُّونَهُ؛ لعلمه ورجاحة عقله، وكِبَرِ نفسه، ورزانته ونزاهتـه، وبَقِـيَ مُوَقَّراً، كبيـرَ المنزلة، عظيمَ الجـاه عند جميع الطبقاتِ ـ على اختلاف أنواعِها ـ من العوامِّ والعلماء.

عـاش مكرَّمـاً مُبَجَّلاً، مالت إليـه القلوب، واشْـرَأَبَّت إليه النفوس، وقد عُرِفَ بعدَّة ألقابٍ اشْتُهِرَ بها بينَ العامة والخاصة، ومن دلائلِ قبوله بين العوامِّ والخواصِّ أنه كان يُسْـتَقْبَلُ استقبالاً

عظيماً في كلِّ بُقْعَةٍ كان يَنْزِلُ فيها أو يمرُّ بها، وكان الناسُ يتطلَّعُون لاستقباله وزيارته، ويزدحمون لرؤيته، وسماعِ خُطَبِه ومواعظه.

وقد اشْتُهِرَ بين العوامِّ والخواصِّ بألقابٍ يَنْدُرُ أن نجدَ لها نظيراً في تاريخ بلاد السِّند؛ ومن هذه الألقاب:

١ـ شمس العلماء:

لُقِّبَ بذلك بين جمعٍ غفيرٍ من العلماء والمشايخ؛ لتبحُّرِه في الفقه وأصوله، ومهارته في أساليبِ الكلام، وبراعتِه في الإنشاء والاسترسال.

وقد كان له مِنْ لقبه نصيبٌ؛ فقد كان إذا ورد مجلساً، أو قَدِمَ منزلاً أصبحَ محطَّ الأنظار، تميل إليه القلوبُ، وترتقي شخصيَّتُه بينهم كما ترتقي الشمسُ فِي أعلى مَحل، مع عِظَمِ وقارِه، وشدَّةِ صلاحِه. رحمه الله تعالى.

٢ـ سُلْطَانُ الواعظين: وهذا من أشهر ألقابه، طار بذكره الرُّكْبَانُ في الديار السِّندية!

اشْتُهِرَ الشَّيْخُ بالوعظ المؤثِّر في قلوب الناس؛ فقد كان له اليدُ الطُّولَى في الموعظة والتذكير، مخاطباً عواطف الناس، مُسْتَمِيلاً لهم بفصاحةٍ وبلاغة، فكان يضحكهم متى شاء،

ويبكيهم متى شاء؛ وذلك لقوَّةِ حُجَّتِه، وبراعةِ أسلوبه.

وكان ـ رحمه الله ـ خطيباً بليغاً، مُتَبَحِّراً في العلوم، عقليَّةً كانت أو نقليَّةً، مطلعاً على دقائق الشرع وغوامضه، يتحرى الدِّقَّةَ في نقل الأحكام، ويُحَرِّرُ المسائل، وينفردُ في بلاد السِّندِ بعِلْمِ الفتوى والوعظ.

ذاعَ صيتُه في بلاد السِّنْد، وأُولِعَ الناس بخُطَبِهِ ومواعظه، وتنافست عليه الجمعيات والمؤتمرات الدينية والتعليمية؛ تتسابقُ في دعوته، وتستعين بخطابته. كان حادَّ الذكاء، حاضِرَ البديهة، لطيفَ النُّكْتَة، ما رأى الناسُ مثلَهُ في دياره عِلْماً وعَمَلاً وجمالاً وخُلُقاً واتِّبَاعاً وكَرَماً وحُكْماً في حقِّ نفسه، وقياماً في حقِّ الله عند انتهاك حرمته.

وكان آيةً من آيات الله في التقوى والعمل، وتأثير الوعظ، كان يُزَيِّنُ خطبَهُ ومواعظَه برقائقَ من الوعظِ، وآياتٍ بَيِّنَاتٍ من الذكر تَطِيرُ لها القلوبُ اشتياقاً، وتذوبُ بها الأنفسُ احتراقاً!

ومن شدة حبِّ الناس له وإجلال شخصه، كانوا يتساقطون عليه تَساقُطَ الفراش على المصباح، وما كُنَّا نحْسَبُ ـ كما قيل ـ أنَّ مُتَكَلِّماً في الدنيا يُعْطَى من مَلَكَةِ التأثير في النفوس ما أُعْطِيَ

هذا الشيخ الجليل، فسبحان مَنْ يختصُّ بالقَبُولِ مَنْ يشاءُ من عباده، والله ذو الفضل العظيم.

ومن آثار مواعظه ومحاسنه: أنه بدأ بمجالس الوعظ والإرشاد في فترة الاضطراب والتشتت في الديار السِّنْدِية، حينَ كانت المراكز الدينية والثقافية في بلاد السِّند مُهَدَّدَةً بالزوال، وأصبحت البقية الباقية من المسلمين مُعَرَّضَةً بشدة لخطر الاستسلام للإلحاد والشيوعية والليبرالية، وخطر التشيع الإيراني، والفِرَق المنحرِفَة عن طريقِ أهل السنة والجماعة.

فنشط سيدي الوالد ـ رحمه الله ـ في هذا المجال، وأثار في المسلمين الإيمانَ، والثقةَ بالله، والاعتزاز بالدين، ودعاهم إلى الصبر والثبات والتوكُّل على الله، ومقاومة المهاجمين والمُغَيِّرِينَ للإيمان واليقين؛ فقوَّت مواعِظُه وجولاته القلوبَ المنْخَلِعةَ، ورسَّخَتِ الأقدامَ المتزلزلةَ، وزال الخطرُ، وانقشعَ السَّحابُ، وعادتِ المراكزُ الثقافية والدينية إلى سابقِ عهدها الأول، وعاد المسلمون يزاولون حياتهم ونشاطهم باعتدال وثقة من جديد، ولو لم يكن من محاسنه ـ وهي كثيرة وجليلة ـ إلا هذا، لكان كافياً، جزاه الله خيراً، ورحمه وغفر له، وأعلى مقامه، آمين.

ومن شدَّةِ تأثيره في العوامِّ والخواصِّ، ونفوذِه إلى قلوبهم، كانت الحكومةُ تَهَابُهُ وتحاوِلُ إرضاءه بطُرُقٍ شَتَّى، لكنه ـ رحمه الله ـ لم يُظْهِرِ المَيْلَ إلى الدنيا وأصحاب المناصب قِيدَ أُنْمُلَة، بل عاش كريماً زاهداً، وانتقل إلى الله الكريمِ راضياً مَرْضِيّاً.

والحاصل أنه كان من عجائب الزمن، ومن محاسن باكستانَ عامَّةً، وإقليم السِّند خاصَّة، ومن عَرَفَهُ حقَّ المعرفة تيقَّنَ أنَّهُ من أولياء الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وأنَّ ثناء الناس عليه كادَ أن يكونَ إجماعاً، وأنَّ الاعتراف بفضلِه ليس فيه نزاعٌ؛ فقد اجتمعَ علماء كل إقليم على فضلِه وجلالتِه.

٣ـ أسد المصطفى:

لُقِّبَ بذلك واشْتُهِرَ بين العوامِّ والخواصِّ ـ خاصَّة في شمال السِّند ـ لجُرْأَتِهِ في كلمةِ الحق، ونَجْدَتِه لكلِّ مستغيث، لا تمنعه المهابةُ من قول الحق؛ فقد كان لا يخافُ في الله لومةَ لائمٍ؛ فكان يأمرُ ويَنْهَى كلَّ واحدٍ أيّاً كانت مكانتُه، مَلِكاً كان أو صُعْلُوكاً؛ ولذلك اشْتُهِرَ بـ«أسد المصطفى» بين الأنام.

وقد عُرِفَ أيضاً بذلك لشدة تمسُّكِه بمحبة النبي ـ ﷺ ـ واتِّباعِه، ولشدة غَيْرته على صحابة النبي ـ ﷺ ـ وأهل بيته، وأولياء الله الصالحين.

وكان ـ أيضاً ـ كثيرَ الصلاة على النبيِّ ـ ﷺ ـ في أثناء خُطَبِه ومواعظه، وتُرْوَى وتُنْقَلُ عنه كراماتٌ كثيرة بين المسلمين، وهي متواتِرَةٌ ومشهورةٌ في بلاد السِّندِ.

ومن أعظم كراماته أنه تاب على يديه آلافٌ من قُطَّاعِ الطُّرُقِ والعصاة، والتزموا الصراط المستقيم بعدَ سماع خُطَبِه ومواعظه؛ فلقد كان آيةً في الموعظة والتذكير، مَنْ رآهُ وحَضَرَ في مجلسِه مرَّةً واحدة تاب عن المعاصي والبِدَع، وصَلُحَ حاله، واستقام على الشريعة، وقدَّمَ مولاه على ما سواه.

٤ـ المفتي الأعظم:

اشْتُهِرَ ـ رحمه الله ـ بهذا اللقب؛ لاشتغالِه بعلم الفقه منذُ صباه، وتَفَقُّهِهِ على مشايخ عصره؛ حتى نبغ في العلم، وصار المرجِعَ والمقْصَدَ في الفقه الحنفيِّ، وجملةُ فتاواه تنمُّ عن درايةٍ وتبحُّرٍ في الفقه الحنفي. رحمه الله تعالى، وغَفَرَ له، ورفع درجاتِه، آمين.

❊ ثناءُ العلماء عليه:

اتفقت الألسنُ على الثناء عليه، والاعتراف بفضلِه ونزاهته، وسدادِ رأيه، وحُسْنِ قصدِه، واتَّفَقَ العلماءُ والفضلاءُ على الثناءِ

عليه، ومدح شمائله، فصارَ مُشاراً إليه في هذا الباب.

١ ـ قال عنه صديقُه ورفيقُ دربه العلَّامة شيخ الحديث المفتي محمد رحيم السِّكَنْدَري السِّندي، شيخ الجامعة الراشدية بالسند: إنَّ أخانا الشيخَ المفتيَ عبدالرحيم كان مُتَّصِفاً بالاستغناء عمَّا في أيدي الناس؛ فأكرمه اللهُ تعالى بالقبول والوجاهة بين العلماءِ والعوامِّ، فإنه أفادَ بعلمه وفقهه بلاداً شاسعة، ووصلت أنوارُ عُلُومِهِ إلى كلِّ أرجاءِ الديار السِّندية. وقد رزقه اللهُ تعالى فتحاً عجيباً؛ فكلَّمَا دخل قرية أو مدينة كان يُؤَسِّسُ مدرسةً بها، أو يبني فيها مسجداً، وقد أسَّسَ أكثرَ من ثلاث مئة مدرسة ومسجد في قُرَى بلاد السند ومُدُنها. رحمه الله تعالى رحمةً واسعة.

٢ ـ قال عنه الشيخ الفقيه المفتي عبدالرحمن التَّتويُّ السِّنْدِيُّ، رئيس الجامعة العثمانية المُجَدِّدِيَّة بمدينة تته السِّنْد: أُخْبِرْتُ عن ارتحال العلَّامة الفهَّامة الشهير في جميع أكنافِ باكستان الشيخ المفتي عبدالرحيم السِّكَنْدَري المعروف بسُلْطَان الواعظين، فدُهِشَ به عَقْلِي، وحَزِنَ به قلبي، وبَكَتْ عليه عيني! وكان ذلك الحال لكلِّ مَنْ زارَهُ، أو سَمِعَهُ أو شَهِدَ جِنازته؛ فقد كان ـ رحمه الله ـ عالماً مُتَبَحِّراً وخطيباً بليغاً مُتَّصِفاً بمكارِمِ الأخلاقِ، وشِيَمِ الصالحين، وكان داعياً إلى الله، لا يخاف أعداءَ اللهِ، يَبْذُلُ وُسْعَهُ

وطاقَتَه لإعلاء كلمته تعالى، وتوصيفِ واتِّبَاع سُنَّةِ رسوله ـ ﷺ ـ، يقتفِي آثارَ علمائنا المتقدمين، رحمةُ الله عليهم أجمعين. ولشدة استقامته على الحقِّ كان يُرْعِبُ أعداءَ الله، وأعداءَ رسوله. فيا أَسَفَى على فقده!! لله ما أعطى، وله ما أخذ، وكلُّ شيءٍ عندَه بمقدار! فصبرٌ جميل.

٣ـ وقال عنه العلَّامة المُسْنِد المُرَبِّي العالم الجليل الشيخ محمد أحمد النعيمي، رئيس جامعة أنوار المُجَدِّدِيَّة النعيمية، بكراتشي: إني سمعتُ ممَّن أدركتُهم من أكابر عَشِيرَتِي وفضلاءِ عصري ـ ورأيتُ بعيني ـ أن الشيخ عبدالرحيم السِّكَنْدَري لم يكن له مثلٌ في العلم والعمل والاستقامة على الحق في عصره ومصره. رحمه الله تعالى ونفعنا بهِ.

٤ـ وقال عنه سماحة الشيخ الفقيه الأديب المفتي محمد جان ابن شمس العلماء المفتي عبدالله النَّعيمي، رئيس وشيخ الحديث بجامعة المُجَدِّدِيَّة النعيمية، كراتشي: كَان الشيخ ـ رحمه الله ـ خيرَ عالمٍ في زَمَانه عِلْماً وَعَمَلاً، صِيَانةً وديانةً، عزماً وحزماً؛ مناقبه كثيرةٌ، وفضائله شهيرةٌ، أَسَفُنَا على فِرَاقه كثيرٌ، وفَجْعَتُنَا بموتهِ كبيرةٌ.

وقال أيضاً: إن العالِـم أو الشَّخص قد يُشْتَهَرُ بفنٍّ أو وصفٍ، ويصـل إلى درجة الكمال ويُشْـتَهَرُ بـه، ثم يَعْتَرِيه النقصُ شـيئاً فشيئاً، لكنَّ اللهَ أكرمَ الشيخ العلَّامة عبدالرحيم السِّكَنْدَري بأنه لم يَرَ الزوالَ، ولم تُنْقَص عنـه نعمةُ القَبول والوَجاهة، بل زادَ حبُّ المسـلمين له حتى في آخر أيام حياتِه، سـبحان مقسِّم الأرزاق، وبارئ النسمات!!

٥ـ وقال عنه شـيخ الحديث العلَّامة الشـيخ محمد إبراهيم القادري، رئيس وشـيخ الحديث بجامعة القادرية بمدينة سـكر السـند: كان الشيخ ـ رحمه الله ـ مَرْجِعاً للعلماء في المشكِلات، وكان وجـوده موئـلاً وقلعةً حصينةً للمسـلمين ضـد التيارات المنحرِفة عن طريق أهل السُّنَّةِ والجماعة. وكلُّ مَنْ حَضَرَ مجْلِسَ وَعْظِـه أثْنَـى على علمه وصلاحـه، وكان ـ رحمـه الله ـ يُدْهِشُ الخـواصَّ قبل العوامِّ بِكَثْرَة محفوظه، وطلاقة لسـانِه، وفصاحةِ أسلوبه، وكان ذا هَيْبةٍ عظِيمة، ونزاهةٍ، وقُوَّةِ نفسٍ وحشمة. وفاتُه صدمةٌ عظيمةٌ لجميع المسلمين في باكستان. رحمه الله وإيانا.

٦ـ وقال عنه شـيخ السادة النقشـبندية، الشيخ محمد أيوب جان ابن الشـيخ محمـد إبراهيم جان السـرهندي الفاروقي: إن مهابته كانت تَغْشَـى قُلُوبَنَـا لصلاحه وتقواه وديانتـه، فلقد كان

مُرَوِّجاً للشريعة، مُنَوِّراً للطريقة، مُتَّصِفاً بالصفات المَلَكُوتِيَّة، عهدنا من مشايخنا وآبائنا أن الشيخَ ـ رحمه الله ـ كان هَدِيَّةً وتُحْفَةً لهذه البلاد، ولا شكَّ أنه كان مَظْهَرَ بركاتِ رسول الله ـ ﷺ ـ في الديار السِّندية.

٧ـ قال عنه شيخ المنقول والمعقول، الشيخ عبدالستار السعيدي، شيخ الحديث بجامعة النظامية الرضوية بلاهور: الشيخ عبدالرحيم السِّكَنْدَري ـ رحمه الله ـ كان أستاذَ الأساتذة، وجامعاً للعلوم النقليَّة والعقليَّة، وكان عالماً منفرداً ومُتَبَحِّراً، خدمَ الإسلام وأهلَه أكثرَ من نصف قرنٍ باستقامةٍ ووَقار. وقد رُزِقَ حظّاً وافراً من الحُسْنِ المُصَوَّرِ والمعنوي، ومن المُلاحَظ في حياته أنه لم يُضِعْ لمحةً من عُمره، بل صَرَفَ كلَّ وقتِه إلى خدمة الإسلام والمسلمين. رحمه اللهُ تعالى وإيَّانا، وجعل قِرَاه الْجنَّةَ، وجزاه عَنَّا وعن المسلمين أوفرَ جزاء.

٨ـ وقال عنه الأستاذ الدكتور عبدالغني الشيخ، عميد كلية الآداب بجامعة السِّند: كان الشيخ ـ رحمه الله ـ كثير الإصلاح، صَدُوق اللسان، قليلَ الزَّلَل، وقوراً صبوراً، يُحِبُّ في الله، ويُبْغِضُ في الله، وكان آيةً من آيات الله في العِلْمِ والعمل في هذا العصر ـ رحمه اللهُ تعالى.

٩ـ قال عنه تلميذُهُ وشقيقُه الأستاذ الدكتور/ مولا بخش السِّكَنْدَري السِّندي: كان أخي وأستاذي الشيخ عبدالرحيم السِّكَنْدَري بين فُضَلاءِ وقته كالشَّامة، صار في أقومِ طرق الاستقامة، من حرصه على فعلِ الخير، وتحفُّزه له، مع عدمِ خوضه فيما لا يعنيه، والندم على الوقت الَّذي فِي غير العلم يمضيه.

كنتُ قد لازمتُه منذ طفولتي، وما رأيتُ منه أمراً مخالِفاً للشريعة، وحُكِيَتْ عَنهُ على الأَلْسُن الصادقة الكرامات الخارقة، وَكنتُ مِمَّن شَاهد بَعْضَها، ولكنه ـ رحمه الله ـ كان يكتُمُها أشدَّ الكتمان، وكان قد حَرَّمَ على نفسه أن يُثْنَى على شخصه، ويُتَفَوَّهَ في حقِّهِ بكلماتٍ يظهر فيها الفخرُ والخُيَلاءُ. رحمه الله تعالى، وغفر له، ونفعنا ببركاته.

١٠ـ قال عنه المفتي الأعظم بباكستان البروفيسور الشيخ منيب الرحمن، رئيس دار العلوم النعيمية، كراتشي: قد تُوُفِّيَ واعظُ الإسلام الشهير العلَّامة المفتي عبدالرحيم السِّكَنْدَري، مفتي بلاد السِّند وعالمُها، وقد كان له خدماتٌ جليلةٌ في نشرِ الإسلام ودعوته. ووفاتُه خسارةٌ كبيرةٌ للمسلمين، وفجعةٌ عظيمةٌ لنا جميعاً. تغمَّدَهُ الله بواسِعِ مغفِرَتِه، وأسكَنَهُ فسيحَ جنَّاتِه.

١١ـ قال عنه العلامة المربي المفسر الشيخ محمد إدريس الداهري النقشبندي السندي: مولانا الشيخ المفتي عبد الرحيم السكندري، عرفتُه منذ شبابه، واستمرت صداقتي به إلى أن توفي رحمه الله تعالى. فمما رأيتُه ولاحظتُه في حياته وشخصه الكريم أنه كان متصفاً بصفة الاستقامة ـ التي هي فوق الكرامة ـ في أعلى مراتبها، وتمسك بها، واشتهر بها إلى آخر لحظات حياته، رحمه الله تعالى ونفعني به في الدارين.

هذه بعض الكَلِمَات العَطِرَة من معاصِرِيه؛ من الفقهاءِ، والمُسْنِدِينَ، إن دلَّت فإنَّما تدلُّ على غزيرِ علمه، وشهرة شَخْصِه بين المشايخ. رحمه الله رحمةً واسعة.



الفصل التاسع
مَكْتَبَتُهُ وحُبُّه للكتب

اشْـتُهِرَ الشـيخُ العلَّامـةُ عبدالرحيـم السِّـكَنْدَري بمكتبته الكبيـرة التـي تحتوي علـى كُتُـبٍ وفيرةٍ كثيـرةٍ؛ تضـمُّ أمهاتٍ ونفائـسَ مـن كلِّ فنٍّ؛ منَ التفسـير، والفقـه، والحديث، وعلوم العربيـة، والتاريـخ، وغيرهـا مـن العلـوم. وكان ـ رحمـه الله ـ مُغْرَماً بالمطالعة، سـاعِياً لاقتناء الكُتُب النفيسـة، ضَنَّاناً بها ضنَّةَ المحِبِّ للمحبـوب، وقد جَمَعَ منها النفائسَ واللطائف والنوادرَ والظرائف.

وقد بَذَلَ في سبيل الحصول على هذه الكتب أموالاً طائلة، وكان التُّجَّارُ في باكسـتان يقدِّمُونَ إليـه كلَّ كتابٍ جديد، وكانوا يُغَالُونَ في السـعر أيضاً؛ لمعرفتهم بأنَّ الشيخ يشتري كلَّ جديدٍ نفيسٍ من كتب التراث.

وقد سـافر، للحصول على بعـض المخطوطات، إلى قُرى

بــلاد السِّــند ومُدُنها، وجمــع أكثر من خمس مئــة مخطوطٍ من النوادر لعلماء بلاد السِّــند، أكثرُهــا كان مكتوباً بأيدي مُصَنِّفِيها، وبعضُها كان قريبَ العهد من عَصْرِ مُؤَلِّفِيها.

يَصْدُقُ عليه ـ رحمه الله ـ قول الجاحظ، ويتشــخَّصُ أمامي بــكلِّ صُوَرِه: الكتاب كان له نِعْمَ الذُّخْرُ والعقدَة، ونِعْمَ الجليسُ والعُدَّة، ونِعْمَ النشرةُ والنزهة، ونعم الأنيسُ لساعة الوَحدَة، ونعمَ القرينُ والدخيل، ونعمَ الوزيرُ والنزيل!!

وســوف أضع أمامــك ـ أيها القارئ ـ بعضــاً من معالِم حبه للكتب، وشــغفهِ بجمعها؛ حتى يتبين لك من خلالِ ذلك بعضُ معالم حياته العلمية.

معالِم حُبِّه للعلم، وشغفه بالمطالعة:

١ ـ كان مُحِبّــاً وعاشــقاً للعلم وأهله، وهذا الحبُّ الشــديدُ أنتج لديه الوَلَهَ بالكُتُب والعشــق لها. وكان إذا تحدَّث عن كتابٍ يُحِسُّ الســامع أن حُــبَّ ذلك الكتاب مَلَكَ عليه لُبَّهُ ومشــاعِرَه، وأنســاه الأهلَ والولد، وإذا تحدَّث عن رســالةٍ ـ أو كُتَيِّبٍ حتى ـ أَطْنَبَ، بِمَا يُشْعِرُ السامعَ أنه يتكلَّمُ عن ديوانٍ من دواوين الإسلام الشهيرة.

وقــد كانت تلك عادتَه منذُ بداية طفولتــي، وكنتُ أحارُ في أمرهِ، وأظنُّه يبالِغُ أو يتكلَّف ذاك، حتى تيقنتُ شيئاً فشيئاً أنه فِعْلاً كان يتكلَّــمُ عن أعزِّ شــيءٍ عنده في الوجــود إذا تحدث، وأكرم شيءٍ عليه إذا تفكَّر وتدبر.

٢ـ كان لديه من الكتب النفيســة كثيرٌ ممَّا لا يُوجَد عند غيره من العلماء في الديار السِّندية.

٣ـ كانَ ـ رحمه الله ـ عظِيمَ الإنفاقِ على شراء نفائسِ الكتب، حتى إذا سافر خارج مدينته، أو قَدِمَ إلى الحرمين الشريفين، كان يشــتري الكُتُــبَ ويمنحها لأحبابِــه هدايا دون ثمــن، وكنتُ في صِغَري أشــعرُ بالضيقِ من ذلك، حتى اعْتَدْتُ الأمرَ، فصار قدوةً لي في هذا ـ بفضل الله، ثم بحُسْــنِ تربيته ـ؛ لا أَتَلَذَّذُ بنعيمٍ أعظمَ من نعيمِ إهداءِ الكتب؛ لينتفع بها القريبُ والبعيد.

٤ـ كان لــه قُدْرَةٌ عجيبــةٌ على المطالعة؛ فقــد كانَ يُرَى في مكتبته زُهاءُ ثلاثين ألفَ مجلدٍ، وعليها علاماتٌ له، وإشــاراتٌ، وعباراتٌ، وقلَّما نَجِدُ كتاباً في خزانته ليس عليه قراءةٌ، أو نظرٌ في أيِّ فنٍّ كان؛ فقد كان يكتبُ فيه كلَّ ما فتحَ اللهُ بهِ عليهِ من النِّكاتِ والإشاراتِ العلميَّة الدقيقة.

٥ ـ كان ـ مِنْ شـدَّة وَلَعِه بالكتب ـ إذا مَسَّ كتاباً يقول: هذا الكتابُ الفلانيُّ مَلَكْتُه في الوقتِ الفلاني. انتهى. وإذا طُلب منه أيُّ مُجَلَّدٍ كان يقومُ إلى الخزانة فيتناوله فيبدو وكأنَّه موضوعٌ في الخزانَةِ في تلك اللحظة؛ من عِظَمِ المحافظة عليه.

٦ ـ رأيتُه أكثرَ من عشرين سنة في ليالي رمضان ـ صيفاً وشتاءً ـ يفتحُ الكتابَ للمطالعة، ويقعُدُ بعد صلاة التراويح، حتى إنه لم يكن يشعرُ بمُضِيِّ الليل؛ من شدَّةِ استمتاعه بالقراءة، وكنتُ آتيه عند السحور فأجده جالساً مُنْكَبّاً على المطالعة، وكنتُ أُسَلِّمُ عليه فيرد السلام مُتَحَيِّراً ويقول: ألم تَنَمْ؟! ولِمَ رَجَعْتَ مُبَكِّراً؟ فأُخْبِرُهُ أنَّ الليل قد مضى، فيقول: سبحان الله! لم أشعر بمرور الوقت.

كان هذا دَأَبَه في ليالي رمضان خاصَّة؛ لا يشغله الحرُّ ولا القَرُّ عن المطالعَةِ والاستفادة، فكانَ لا يَقْضِي وقتاً إلا في الاستزادةِ من العلم، والعناية بالمطالعة والفَهم.

٧ ـ سمعتُه ـ أنا وغيري من تلامذته وإخوته ـ مراراً يَقُول: إِنَّه ليقفُ خاطري فِي المسألة، أو تُشْكِلُ عليَّ مُعْضِلة، فأُصَلِّي وأُسَلِّم على النبي ـ ﷺ ـ وأنام؛ فأستيقظ مُنْشَرِحَ الصدر، ويُحَلُّ

الإشكال. وكنتُ أسمعُ مَنْ يشرحُ لي تلك المسألة، ويُمْلي عليَّ فـي الرؤيـا حتَّى أحفظَ كلماتِـه، وما زال صوتُه يتـردَّدُ في أُذُني بضعةَ أيام. انتهى.

٨ـ لـم أرَ قطُّ، ولا سـمعتُ ـ في الديار السِّـنْدِيَّة ـ عن أحدٍ أحـبَّ الكُتُبَ أكثرَ منـه؛ فإنَّهُ لم يقع بيده كتابٌ قطُّ إلا اسْـتَوْفَى قراءته، كائناً ما كان. وكان لا يَضَعُ الكتب الجديدة في الخزانات إلَّا بعد أن يَشْـبَعَ من قراءتها، وكانت تُوضَعُ بجوار سـريره على المكتب.

٩ـ اشْـتُهِرَ عنه قوله: مَنِ اشترى الكُتُب غالية الثمن، وأنفق عليها، أبقى الله تعالى علماً فـي خَلَفِه، وجعل ذُرِّيَّتَهُ من العلماء بفضلِه وكرمه.

١٠ـ كان يُجِـلُّ الكُتُبَ ويُعَظِّمُهَا جِـدّاً؛ ومن مظاهر إجلالِه للكتب أنه ما كان يجوِّزُ ثَنْيَ ورق الكتب أو لَفَّه، وكان يرى ذلك إهانةً للكتب، ويقولُ: نحن أُمرنا بتعظيمها لا بإهانتها.

هذا غيـضٌ من فيضِ علمِه وشـغفه بالعلـم والكتب، ولو شرحتُ تَفْصِيلَ ما أجملتُه لكان مُجَلَّداً. رحمه الله تعالى، ورضي عنه، وأسكنه فسيحَ جناته، لقد أتعبَ مَنْ جَاءَ بَعْدَه!!

الفصل العاشر
حياتُه الخاصَّة

تزوَّجَ الشيخُ ـ رَحِمَهُ الله ـ في سنٍّ مُبَكِّرة؛ في عام ١٩٦٣م من امرأةٍ صالحة تُدْعَى «حضور خاتون»، ابنة الرجل الصالح الفقير «ربذنو»[١]، الذي اشْتُهِرَ في القرية بسلامةِ الصدر وتحرِّي الحلال.

كانت أمُّنا[٢] ـ رحمها الله تعالى ـ خيرَ رَفِيقةٍ للوالد، وخيرَ مُعِينَةٍ له في أمور المدرسة، كانت تخدُمُ طلبةَ العلم الشرعي بإخلاصٍ، وتهتمُّ بأكلِهِم اهتمامَها بأولادها وأحفادها.

وكان الشيخ الوالد ـ رحمه الله ـ يُثْنِي عليها كثيراً بعد موتها ويقول: إنها أعانتني في الحياة الدينية، ولم تُوَجِّهْ إليَّ لوماً مرَّةً واحدةً في حياتها، رغم ضغط الأشغال، وكثرةِ الطُّلَّاب، وكان

---

(١) معناه: عطاء الرب.

(٢) انتقلت إلى رحمة الله تعالى سنة ٢٠١٢م.

في وُسْعِها أن تقول: إنني لم أُكُلَّف بخدمةِ تلامذَتِك، ولكني كنتُ أراها تتهلَّلُ وينشَرِحُ صدرُها لخدمتهم. انتهى.

وكثيراً ما كنتُ أسمعها تقولُ: هؤلاء ضيوفُ رسول الله ـ ﷺ ـ ووصيته؛ ففي خدمتهم الخير والبركة. رحمها الله تعالى وأسكنها فسيحَ جناته.

وقد رُزِقَ الوالدُ منها أربعةً من الذكور؛ هم: عبد النبي، ونور النبي، وحقُّ النبي، وفضل النبي، وثلاثاً من الإناث؛ وكلهم متزوجون.

وفيما يتعلَّقُ بالإنفاق على الأهل، فقد كان الشيخُ سخيّاً كريماً، حتى إنه كان يُنْفِق على كثيرٍ من أفراد أسرته دون طلبٍ منهم، ويُكْرِمُهم بالهدايا في المناسبات، كالعِيدَيْنِ والزَّوَاج.

وقد اهتمَّ شيخُنا الوالد بتعليمِنا وتربيتنا كثيراً، فرغمَ ما كانَ يُظْهِرُهُ ـ أحياناً ـ منَ القسوةِ في التعامل مع أولاده، إلَّا أنه كان سهلاً ليِّناً في كل حياتِه، وكانت له عنايةٌ خاصَّةٌ بأمور التعليم والتربية؛ فلم يكن ليتساهلَ أبداً في هذا الجانب. وكان يردِّدُ كثيراً: أولاد العلماء والمشايخ لا بُدَّ أن ينظروا إلى العلم باعتباره ميراثهم، ويَقْنَعُون بأنه لا يكفيهم أنهم من ذُرِّيَّة العلماء والمشايخ، حتى

يســتحقوا التعظيمَ، والتبجيلَ من الناس، بل لا بُدَّ لهم إذا أرادوا ذلك أن يسيروا على خُطَى آبائهم علماً وعملاً، وإلَّا فلا.

درستُ على يديهِ القرآن الكريم، وكان يتفقَّدُ أحوال دراستي كلَّ حين، وكان يختبرني دون أن أشـعر! كان يتساءل عن إعرابِ بعـضِ الآيات وتوجيهها النحـوي والإعرابي؛ فكنـتُ أقتحِمُ المكتبة، وأفتِّشُ في كتب التفاسـير، ثم آتيهِ بالجواب، فيناقِشُنِي بلطفٍ، ويقول: جزاك الله خيراً، هذا ما كنتُ أتوقَّعُ، أنك سَـتَجِدُ الإجابة الصحيحة.

كثيـراً مـا كُنَّا نناقش هــذه الأمـور في رمضـان بعد صلاة التراويح؛ كان يوجِّه إليَّ كلَّ يومٍ سـؤالاً مِنَ القَدْرِ الذي كنا نقرأهُ في الصلاة.

وقــد ســمعتُ منه وقرأتُ عليــه «الصحيحين»، و«مشــكاة المصابيح»، وسـمعتُ منه غالِبَ «السُّـنَن الأربعـة»، و«العقائد النسفيَّة»، و«كنز الدقائق»، و«الهداية»، وغير ذلك من الكتب.

جــزاهُ الله خيراً على قدرِ اهتمامِه بنا، وتحبيبه العلمَ والعملَ إلينا؛ فلولا عنايتُه الخاصة بتربيتنـا وتعليمنا لكُنَّا من الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يَحْسَبُونَ أنهم يُحْسِنُونَ صُنْعا.

الفصل الحاديَ عَشَرَ
صفاتُه ومناقِبُه

كان سيدي الشيخ العلَّامة المفتي عبدالرحيم السِّكَنْدَري ـ رحمه الله تعالى ـ وضيءَ الوجهِ، نقيَّ اللون، وكان يحبُّ من الأثوابِ أحسنها، ويختار من اللِّبَاسِ أجملَه من غير إسرافٍ، لم يَلْبَس في حياته إلَّا البِيضَ من الثياب، ولم يتعمَّم عند لُبسها سوى بالعمامة البيضاء، وقد كان يقلِّده في مَلْبَسِه ومَشْيِه ومنهجِهِ في إلقاء خطبه ودروسه جمٌّ غفيرٌ من علماء بلاد السِّند وفضلائها.

ولقد تميزت شخصيَّةُ شيخنا الراحل ـ رحمه الله ـ بصفاتٍ ومناقبَ عظيمةٍ منذ الصغر؛ فإنَّهُ لم يُشْغَل باللَّعِبِ مع الصبيان في قريته، واشْتُهِرَ بين أساتذتِه بالطالب الشغوفِ بطلب العلم، والباحث الدؤوب الذي لا يملُّ من القراءة والكتابة، وتحصيل العِلْم وتعليمه للناس بهمَّةٍ عالية، ونفسٍ أبيَّة.

وإن المُتَتَبِّعَ لسيرته يجد أنه كان يتميَّزُ بصفاتٍ فريدة،

وخصائـصَ تـكادُ تجعلُه وحيدَ أقرانِـه، ومن أبـرز صفاتِه: قوَّةُ البديهة، وحضورُ الذهن، والإجابةُ على غريبِ الأسئلة ونادِرِها، مع كثرة الحفظ، وسـعة الرواية. وتُرْوَى القِصَصُ في بلاد السِّند عـن قُوَّة بديهته، وحضور ذهنه بين العـوامِّ والخواصِّ؛ حتى إن العلمـاء يتناقلونَ قِصَصاً عـن عقلِه الوقَّـاد، وأجوبته الحاضرة السَّريعة.

أمـا الزهـدُ والوَرَعُ فقد اشْـتُهِرَ بـه بين أعدائِـه، ولا يُمْكِنُ لمخالفه ـ مهما كانت درجة الخلاف في العلم والفكر والمنهج ـ أن يَتَّهِمَهُ في زُهْدِه ووَرَعِه، والحقُّ ما شَهِدَت به الأعداءُ.

وقد عُرِفَ واشْتُهِرَ بالحزمِ والصرامةِ في كثيرٍ من المواقف، وكان مـن نوادر العصر، ونوابغ الرجال فـي قوة العزم، والثبات علـى المبدأ، كثيرَ الجدِّ فيما يعالجه من الأمور، بعيداً عن الهَزْل وسفاسـفِ الأشـياءِ وخسـائس الأغراض، حريصاً على خدمة أسـرته وأهلـه وإخوانه، وقـوراً مَهِيباً، محافِظاً علـى الواجبات الدينية، والشعائرِ الإسلامية.

كان يُعِينُ طلبةَ العلم في الملبَس والمأكَل، ويشـفعُ ويسعَى لهم بَعْدَ فراغهم من التحصيلِ في الوظائفِ والخدمات.

وخلاصةُ القول أنه قد عُرِفَ عنه عِلْمُه وذكاؤُه، مع إخلاصٍ يبتغي به الـدارَ الآخرة، بعيداً عن عَرَض الحياة الدنيا. رحمه الله تعالى رحمةً واسعة.

* * *

الفصل الثانيَ عَشَرَ
وفاتُهُ

عاش سيدي الوالد العلَّامة الفقيه المفتي أبو الفضل عبدالرحيم السِّكَنْدَري أربعاً وسبعين عاماً؛ ملازماً خلالَها للجمعِ والتصنيف والتأليف والتدريس والدعوة والإرشاد إلى الله سبحانه وتعالى، إلى أنْ تُوُفِّيَ.

كان قد مَرِضَ أيَّاماً يسيرة ـ حوالَيْ أُسبوعين ـ، واشتدَّ عليه المرضُ بعد صلاة يومِ الجُمُعة الموافق الخامسَ من شهر رجب سنة ١٤٣٩هـ بمدرسته «صبغة الهدى» بمدينة شاهفور جاكر، ونُقِلَ إلى المستشفى في مدينة كراتشي.

تُوُفِّيَ ـ رحمه الله ـ بها وهو يردِّدُ لفظ الجلالة «الله الله» بكلِّ طمأنينةٍ وسَكِينَة يوم الخميس الحاديَ عشرَ من شهر رجب سنة ١٤٣٩هـ، الموافق التاسع والعشرين من مارس سنة ٢٠١٨م، **وبات في قبره ليلة الجُمُعة.**

وقد اغتمَّ الناس بفِرَاقِه، وتأسَّفَ العلماء والمشايخ لموته

تأسُّفاً شديداً، وبَكَوْا عليه، وأرَّخَ لوفاتِه كثيرٌ من الناس.

كانت جِنازته مَشْهُودَةً، حضرها عددٌ يصْعُبُ حصرُه من غالبِ أهل البلـد، وحُمِلَ على أَعْنـاق العلماء والفُضَـلاء فمَن دُونَهم، وعَظُمَ الأسفُ لفقده، ورفعُوا نَعْشَه على الأَكُفِّ، ولم يتخلَّف عن جِنازته إلا من شَـذَّ؛ فلم يُرَ بالديار السِّـندية، ولا سُمِعَ فيها بشيءٍ أعظمَ من ذلك المشهدِ الذي حَضَرَهُ كلُّ علماء السِّند وصلحاؤها. رحمه الله تعالى، ورفعَ درجاته.



الخاتمة

قَدَّمْنَا في الفصول الســابقة بعضَ الأخبار من حياة عَلَمٍ من أعلام باكســتان، وهو الشــيخُ العلَّامةُ الفقيهُ المفتي عبدالرحيم السِّكَنْدَري الحنفي ـ رحمه الله ـ؛ فظهر لك ـ أيها القارئ ـ بعضُ ملامح حياتِه العلمية، وجُهْدِه الطيب المبارك.

وممَّا ينبغي أن نُوصِيَ به في خاتمةِ هذه الرسالة ما يلي:

١ ـ ضرورة الاهتمام بإنشاء مكتبة كبيرة باسم الشيخ العلَّامة المفتي عبدالرحيم السِّكَنْدَري، تضمُّ كلَّ مؤلفاته، وما كُتِب عنه؛ لتكون مرجعاً للعلماء والباحثين فيما يخصُّ شخصيَّته.

٢ ـ أن تُــدَرَّس شــخصيَّتُهُ في الجامعات، وتُعَدَّ عنه رســائلُ الماجســتير والدكتوراه، خاصَّةً في الجانب الفقهي، والكلامي، والتاريخي من حياته. رحمه الله.

٣ـ أن تُنْشَرَ كتبُه غيرُ المطبوعة، وتُشْرَحَ، ويُلَخَّصَ بعضُ ما يحتاج التَّلْخِيص.

٤ ـ أن نحافِظَ على تُراثِه العلمي الذي تَرَكَه بيننا؛ وهو يتمثَّلُ في مدرســته التي بناها، وكُتُبِه التــي تركها؛ فَلْنَتَعاوَنْ في الحفاظ على هذا التراث، ونشره في المجتمع.

٥ ـ أن تُفَرَّغَ دروسُــه الصوتية في شــكل كُتُبٍ ورسائل؛ لأن الكثيرَ منها يحتوي على معلوماتٍ دقيقة، وهي خُلاصةٌ لما جاء في المطوَّلَات.

٦ ـ إنشــاء معاهــد ومدارس جديدة باســمه؛ وفــاءً لجهده، وإجلالاً لعلمه وعمله؛ حتى يُقَدِّرَهُ الناسُ حقَّ قَدْرِه.

هَذَا وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ

أســأل الله تبارك وتعالى أن يَرْزُقَنِي الإخلاصَ، ويتقبَّلَ مني هــذا الجُهْد، وينفعَني به يوم لا ينفع مالٌ ولا بنونَ إلا مَنْ أتى اللهَ بقلبٍ سليم.

وصلى الله على سيدِنا محمدٍ وعلى آلِه وصحبِه وبَارَكَ وسَلَّم.

* * *

فهرس المحتويات